

كتابان جديان يتألقان في قائمة الأدب الآشوري

بقلم: ميخائيل ممو



صورة تذكارية تجمع كاتب المقال ميخائيل ممو والخور سقف الأديب شموئيل دنخا في منتصف الثمانينات في شيكاغو

قبل أن يتسنى درجته الكهنوتية كان قد امتحن سلك التعليم التربوي رغم تسلحه باللغتين العربية والآشورية إلى جانب اللغة الإنكليزية في الحبانية معقل العديد من الأدباء والشعراء ورجال الدين والرياضيين. ومنذ نعومة أظفاره شبّ وتهافت على اكتساب المعرفة باللغة الأم متدرجاً في السعي نحو الأحسن، ومتبحراً إلى ما هو الأعمق فالأعمق والأوسع في بحر اللغة والأدب. وما أن قوي عوده أهله إمكانياته بثقة عالية بان تطأ أقدامه المحافل اللغوية التي كان منها مهرجانات النادي الثقافي الآثوري ومجلة المثقف الآثوري وتقديم البرامج في الإذاعة والتلفزيون والمناهج باللغة الأم واتحاد الأدباء من الآثوريين والكلدان والسريان. وعلى أثر ذلك أصبح غني عن التعريف ويشار إليه بالبنان منذ فترة الستينات والسبعينات بإسهاماته الفكرية في تركيز وبلورة دعائم التطور الشعري بأساليبه الحديثة، واصداره لبأكورة نتاجه اللغوي " المرشد في الإملاء الصحيح " باللغة الآشورية وذلك سنة 1975 الذي أعيد طبعه فيما بعد في شيكاغو.

وباشتداد هجرة عوائل الآشوريين إلى دول الشتات من جراء الظروف والأحداث القاسية في القرن الماضي، حظي العديد من الأدباء والشعراء السير على منوالهم واقتفاء مسار تلك العوائل، فكان هو من أواخر من حطت به أقدامه على أرض ديار الإغتراب في شيكاغو، موفياً بالوعد الذي رسمه في مخيلته وبما ساوره على نيل الدرجة الكهنوتية، حيث لا زال متواصلاً بدرجة الخور سقوف، طارقاً أبواب مجلة " قالاً من مدنخا : صوت من الشرق "

وإداء الخدمات الكهنوتية المستوجبة التي أدت به لترجمة وإصدار أربعة كتب لاهوتية مترجمة الى الآشورية الحديثة، إضافة لكتب أخرى، والأهم ما دفعه لاستمرارية البحث والاستقصاء دوافع همّة واعتزازه لإصدار جزئين عن تاريخ الأدب الآشوري الذي أحيا فيه وجود المئات من الادباء الذين خدموا الأدب الآشوري واللغة التي ما فتئنا نتداوله رغم شحة المهتمين بها، ومن الفخر أن نشيد بهذا الإنجاز النادر الذي كلفه الكثير من الجهد والتمحيص واقتصاره على غرار كتاب المطران عبيدشوع الصوباوي والأديب البارع بيرا سمرس بثلاثة أجزاء وكتب أخرى. لهذا يمكننا القول: انه اتحف بها رفوف المكتبة الآشورية، التي قل من سبر أغوار مضامينها خدمة للقارئ الآشوري باللغة الأم، وحفاظاً على الحرف الذي اعتز بمكنونه. وبما ان الشعر هو الذات الروحية لصيغة الحياة، امتدت تأملات كاتبنا على ما استلهمه عن مجموعة من الشعراء الآشوريين بمفاهيم أحاسيسهم الرويوية الممتدة لجذور موضوعات من منابع أعمار التاريخ بحكمتهم الشعورية الخاصة التي اثمرت عدة كتب برنين متميز لمخاطبة المتلقي، وأكبر دليل ما زرعه قبل سنوات بتعمقه في بحار الشعر العالمي وترجمته لمائتين وخمسين قصيدة متنوعة لست وعشرين شاعراً من قوميات متفاوتة من بلدان مختلفة ومنها بطبيعة الحال من بني القومية الآشورية.

ومن منطلق تأثره بالفكر الصوفي، اقترب من أفكار الأدب المهجري وبشكل خاص ومتميز مما صاغه ناسك الشخروب الأديب الفذ ميخائيل نعيمة، ليقدم على ترجمة العديد من نفثاته التعبيرية الخاصة بمفاهيمها التوجيهية. إضافة بإقحامه على استلهم منطلقات الطليعة الواعية من بني شعبنا الآشوري الذين يجسدون أحاسيسهم باللغة العربية التي استمدوا ثقافتهم بها منذ مراحل دراستهم، وعدم تناسيهم أو اغفالهم عن جذور اللغة الأم لتي يكتبون وينطقون بها بوعيهم الحاد وأحاسيسهم المرهف كشعراء مؤمنين بأهدافهم القومية والروح الانسانية.

من خلال هذه المقدمة ووقوفي على موضوعات كتابات زميلنا الخور سقوف شموئيل دنخا وتراجمه الإذاعية في بغداد، ومؤلفاته في الشتات، لمست طاقة فكرية مخزونة يعوزها الايضاح والافصاح بنفحات أسلوب شاعري هادف من أجل الإنسان بقطفه للثمار اليانعة وتقديمتها على طبق من نسيج لغته الأم، متغلغلاً ما يناسب تراجمه التي من الصعب الاتيان بمثلها، إلا من خبير متبحر وفق محاولات عديدة يغنيها بالأحاسيس الموائمة لنصوصها الأصلية. وكلنا يعلم مدى صعوبة نقل وترجمة القصائد من لغة الى أخرى بما تشمله من خصائص اللغة الشعرية بموسيقاها النغمية الداخلية وتماوج عباراتها وقوالها التركيبية بتفصيلاتها المتفاوتة، إلا ما ندر من مقولات التعابير الإنسانية التي تصاغ بشكل مسترسل.

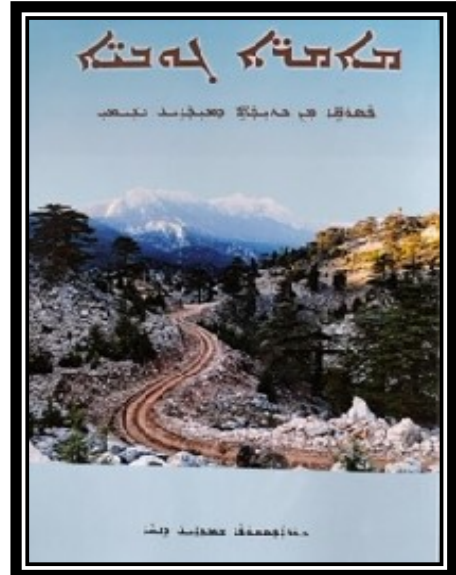
بقي لنا أن نللم ما أشرنا اليه اعلاه لنجده متغلغلاً في كتابين جديدين متألفين على رفوف المكتبة الآشورية من خلال دار النشر العالمية (lulu.com) باسم (Samuel

(Dinkha) وهما " موضوعات مختارة : ملامحة : Anthology " في مائتين صفحة. و" أصداء : عchos : " في مائة وعشرين صفحة.

الكتاب الأول يتضمن مختارات مما حصده نعيمة من تجارب حياته ومعايشاته في ثلاثة مجتمعات متباعدة عن بعضها من حيث العادات والتقاليد والأسس الحضارية المتمثلة بالروسية والأمريكية والعربية الممزوجة بالمشاعر الآشورية - السريانية، متشعباً بما أملت عليه موروثاتها، مجسداً إياها في حياته العملية والتغييرات في فترات متفاوتة التعايش فيما بينها من بيئة لأخر . وقد ضمنه بـ 131 قطعة مترجمة من الأدب الصوفي الى اللغة الآشورية الحديثة بأسلوب في غاية الدقة مستعيناً بالمفردات الملائمة للاستعمال اليومي وبتعابير تذوقية سلسلة المحتوى، لتقارب موسيقاها والفاظها بما تتم عليه مجموعة جذور اللغات السامية المتقاربة - نوعاً ما - من بعضها. علماً بأنه يضيف معاني تلك المفردات بسبع صفحات في نهاية الكتاب ناهيك عن المقدمة والكلمة التعريفية عن سيرة حياة ميخائيل نعيمة الذي رحل بعمر يناهز 99 عاماً.



أما الكتاب الثاني لقد سعى الزميل شموئيل برمي صنارته في بحور الشعر ليصطاد من رمى بصنارته ودون باللغة العربية على مدى سنوات طويلة، متأملاً في قصائد عشرة شعراء منذ ان كانوا في الوطن الأم ولحد هجرتهم الى ديار الاغتراب القسري ما عدا واحداً منهم المتمثل بالشاعر والموسيقي الأستاذ لطيف بولا الذي لا زال محتضناً معالم القوش التاريخية مسقط رأسه. ومن الذين أكد المترجم على اختيار قصائدهم حدد عددهم بعشرة شعراء وهم: آدم دانيال هومه - استراليا ، جان دمو - استراليا، يونان هومه - شيكاغو، لطيف بولا - العراق، ميخائيل ممو



- السويد، سلمان ممو - السويد، سركون بولص - كاليفورنيا (وافاه الاجل في المانيا)، عصام صبحي سوريشو - كندا، فهد اسحق - كندا، وبولص آشوري - كندا. علماً بأن ثلاثة منهم وافتهم المنية وهم: (سركون بولص 1944 - 2007 وسلمان ممو 1957 - 1984 وجان دمو 1942 - 2003).

الميزة التي تميز بها الديوان في مائة وعشرين صفحة، قصائد في غاية الدقة بمحتواها التجسدي الواضح، وكأنك تقرأ قصائد مستحدثة باللغة الآشورية الرصينة محاكاة بأنامل

وفكر مترجم متمرس يدرك صياغة عباراته وكأنك تقرأ القصائد باللغة الأم، علماً بأن مترجمنا لم يبخل بتبويب معاني المفردات بالعربية والإنكليزية في خاتمة كل قصيدة.

وفي خاتمة المطاف ينبغي أن نقّتي بهذه الظاهرة الإبداعية النيرة التي تنير الدروب المظلمة أمام أبناء شعبنا أينما كانوا ونسير على خطاه فيما يسعى اليه لنبعد سلبيات التقوقع واللامبالاة والرؤيا الضبابية لأهمية أساس وجوهر وجودنا اللغوي، طالما يتأثر الإنسان العصري على مراحل جديدة للتطور والرقى في جوانب الحياة بناءً لظواهر مظاهر الحداثة التي شاعت في عصر الارتقاء والزهو بما هو نفعي للبشرية والآليات المستحدثة التي كنا نحلم بها، ولا زالت الدائرة في دورانها لإيجاد ما هو الأصلح والأفضل والأرقى نفعاً ليزداد مفعولها شأواً في الخدمة البشرية من معترك الحياة.

ونأمل في نهاية حديثنا ان يرفل اديبنا الفاضل بالصحة والعافية ليتحفنا أكثر مما هو عليه، مع بالغ شكري وتقديري لجهوده الشخصية.